

158546 - تفسير قوله تعالى : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى)

السؤال

فى سورة العلق آية : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى) ، أرجو توضيح الآيه ، علما بأن الصلاة لم تكن مفروضة حينها .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

قال الله تعالى : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى * كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَه لِنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِبَةٍ * فَلَئِدُعُ نَادِيَهُ * سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ * كَلَّا لَا تُطَعُّهُ * وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)

العلق / 9 - 19

روى مسلم (2797) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ : هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ؟ قَالَ فَقِيلَ نَعَمْ فَقَالَ : وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَطَّانٍ عَلَى رَقَبَتِهِ أَوْ لِأَعْفَرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ . قَالَ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي - زَعَمَ - لِيَطَّأَ عَلَى رَقَبَتِهِ ، قَالَ فَمَا فَجِبَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَيَنْقِي بِيَدَيْهِ قَالَ فَقِيلَ لَهُ مَا لَكَ ؟ فَقَالَ : إِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنَحَةً . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَوْ دَنَا مِنِّي لَخَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عَضُوءًا عَضُوءًا) قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - لَا نَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ شَيْءٌ بَلَغَهُ - (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ) ... الآيات .

وروى الترمذي (3349) وصححه ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فَجَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ : أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا ؟ فَأَنْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزَبَرَهُ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا بِهَا نَادٍ أَكْثَرُ مِنِّي . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : (فَلَئِدُعُ نَادِيَهُ * سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ) فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَوَاللَّهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذْتَهُ زَبَانِيَةَ اللَّهِ . قال ابن كثير رحمه الله :

" نزلت في أبي جهل لعنه الله ، توعده النبي صلى الله عليه وسلم على الصلاة عند البيت ، فوعظه الله تعالى بالتى هي أحسن أولا فقال : (أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى) أي : فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله ، أو (أَمَرَ بِالتَّقْوَى) بقوله ، وأنت تزجره وتتوعده على صلاته ؛ ولهذا قال : (أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) أي : أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه ، وسيجزيه على فعله أتم الجزاء . انتهى من "تفسير ابن كثير" (8 / 438)

فقد دلت هذه النصوص على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة أول الدعوة ، وأن أبا جهل لعنه الله كان يتغيب

عليه في ذلك وينهاه ويتوعده ، فأنزل الله هذه الآيات .

على أنه ينبغي أن يعلم هنا أن سورة العلق لم تنزل كلها دفعة واحدة ، بل الذي نزل أولاً هو صدر هذه السورة ، حتى قوله تعالى : (علم الإنسان ما لم يعلم) ، وأما باقي السورة فإنما نزل متأخرا بعد ذلك .

ففي حديث بدء الوحي عند البخاري (4954) ومسلم (160) : قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاءه الْمَلَكُ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَقَالَ لَهُ اقْرَأ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَنَا بِقَارِئٍ ... الحديث ، وفيه : (فَقَالَ : اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) الْآيَاتِ إِلَى قَوْلِهِ : (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) لفظ البخاري . ولفظ مسلم : (فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّلَاثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ . وقال شيخ الإسلام رحمه الله :

" سورة المدثر هي أول ما نزل من القرآن بعد أول سورة (اقرأ) . انتهى من "شرح العمدة" (404/ 4)

وقال أبو حيان الأندلسي :

" هذه السورة مكية – يعني سورة العلق – وصدرها أول ما نزل من القرآن ، وذلك في غار حراء على ما ثبت في صحيح البخاري وغيره . انتهى من "تفسير البحر المحيط" (488/ 8) .

ثانيا :

الصلاة كانت مشروعة قبل "الإسراء" ، كما دل على ذلك سورة العلق ، والأحاديث المذكورة في سبب نزولها ، ودل عليه أيضا سورة المزمل ، وما فيها من وصف قيام النبي صلى الله عليه وسلم لليل ، هو وطائفة ممن معه من المؤمنين ، وسورة المزمل من أوائل ما نزل ، ودلت عليه نصوص كثيرة ، ووقائع عديدة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ يُصَلِّي قَطْعًا ، وَكَذَلِكَ أَصْحَابُهُ ؛ لَكِنْ أُخْتَلِفَ هَلْ أُفْتُرَضَ قَبْلَ الْخُمْسِ شَيْءٌ مِنَ الصَّلَاةِ أَمْ لَا ؟ " انتهى .

وينظر إجابة السؤال رقم : (145725) .

والله أعلم .